خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٩ من شوال ١٤٣٦ هـ / ١٤ من آب ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

معاشر السادة: لَيس الانتصار والانكسار حُظوظاً عَمياء تُصيب الأمم وهي غير مستحقة لها، أو تفجؤها على غير توقعٍ منها، أو تلتوي بمسيرها فتقهرها على وجهة كانت تُؤثر سواها، لا فإن الأمور تتدافع إلى نهايتها وِفقَ سنن كونية دقيقة، وخواتيم الصراع بين الأمم لا تَقع خَبط عشواء، ولا تكلها الأقدار جُزافاً، بل تَجيء وفق مقدمات منتظمة، كما تَجيء النتائج بَعدها استكمال الأسباب عندما يَصطفي الله عبداً للشهادة يقذف في قلبه ثوراناً لا يَهدأ، حتى يأخذ أهبته ويَلبس عُدته، ويَنطلق إلى المعركة الناشبة ليدمر الباطل ويَسحق الظلم، ولن يعود منه إلا رفاته، أما روحه فكانت الوهج الذي أذاب بأس الظالمين وكسر كبرياءهم، نحن نضن عليه بالموت، ولكن الله لا يَضنُّ بهم على الاستشهاد، ولا يَضنُّ بالشهادة على أمثالهم، وفي المعارك الضخمة النتائج يكون القطاف الأول من هذه الصفوة الممتازة، ألا ترى إلى حروب الردة كيف تهاوى القرّاء على وردها حتى تفانوا؟ وَخُشي على القرآن بعد فقدهم، فجُمع على عجل في السطور التي حفظته بعد أن ضُرِّجت بأكفانها الصدور التي طالما رددته، ومعروف في تاريخ الرجال أن الهمم الكثيرة تُدَوِّخ أصحابها، وأن القلوب الجريئة تُكلف الأجساد ما لا تُطيق، لهؤلاء الرجال مضى الحق في طريقه لم يتوقف، والمعروف في عالم الحياة إذا نبغ فرد في أسرته تسلق من على أكتافه كثيرون، كلهم يدعي العبقرية، كلهم يدعي الشجاعة، كلهم يطلب أن تكون له المكانة، لأن فرداً من أسرته نبغ، الغريب أن النَّبي الهاشمي ﷺ رفض هذه القاعدة، ورفض أن تَكون مَقبولة في حياته وسيرته وتقديره للأشخاص، وأبى الرجال أنفسهم من أسرته أن تكون قرابتهم هي التي تقدمهم، ولذلك وجدناهم في غزوة بدر أول مَن

يَبرز، فكان عم النبي وابنا عمه أول الفرسان الذين يقاتلون، وأول قتيل سقط في بدر كان من بين هاشم، وأول شهيد عظيم في أحد كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وجعفر الطيار نفسه ابن عم النبي ﷺ مات شهيداً في مؤته.

شتّان –يا سادة– بين شاب يتطلع للعطاء والفداء، وبين شاب همه أن يُلمع شعره ونعله، إن شاباً كهذا يَهتم بشعره ونعله، ولا يهتم لشؤون مجتمعه، ولا يشعر لآلام أمته، شأنه كشأن القطط والكلاب التي نَألفها ونسمح لها بالتطواف علينا، وقد بين لنا نبي الإسلام ﷺ أن المظاهر الفارهة ليست من الإسلام في شيء، فقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (إن الله لا ينظر لا إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم).

إن الحضارة المادية صدعت اليقين في القلوب، وهَونت من شأن الإيمان، وجعلت الناس ينحنون لأقوام حاربوا الله والمرسلين، وربما أعجبوا بهم، بيد أننا لا نفقد عقلنا ولا وزننا للأمور إذا اختلت موازين الناس وطاشت ألبابهم، الدم الغالي يَكتب اليوم تاريخ أمتنا وقطراته، العزيزة تتساقط من الأطفال المجندلين في أقراص الميدان البعيد.

إننا لا نخشى وحشة الموت على الشهداء، الذين يجودون بأرواحهم وهم يَرفعون ألوية الحق، فما عند الله خير لهم وأبقى، إنما نريد شيئاً واحداً نُريد أن نُطمئن الجنود الذاهبين إلى ساحات الوغى أن الحق الذي يَعتز بتضحياتهم لن يهتز بعد ذهابهم، وأن الغايات النبيلة التي يطلبونها لأمتهم سنسهر عليها حتى تمتد جذورها في الأرض وتعلو فروعها في السماء.

إن حُماة الديار يقاتلون الذين خرجوا من ديارهم بطراً، ثم جاؤوا إلى هذه البلاد ليزلوا من أعز الله، ويفقروا من أغنى الله، ويَصرفوا الأمة عن دينها، ويعلقوها بالملاهي والصغائر، مُستعينين على ذلك بمن سفه نفسه من المتحللين، الذين ليس لهم خلق والمتكبرين، الذين ليَس لهم دين.

إن حماة الديار يموتون لنعيش بشرف وكرامة، وفي نفس الوقت يُعلمونا أن النصر لا يُمنح، ولكن يُؤخذ بأعز التضحيات.

في الجماعة المتكافلة –يا سادة– لا يُمكن أن تضيع أسرة الشهيد أو يَهون ذلك البيت، يَجب نعم يجب أن لا نفقد الأهل والأولاد مِن شهيدهم الراحل إلا وجهه، فحسب أما بره بهم وحنوه عليهم ونفقاته التي كان

يبذلها فحسب أن تقوم به الأمة نيابة عنه، نُريد أن يغمض الشهيد وهو يوقن أنه يوجد مِن وراءه ضمائر يقظة وأفئدة حانية.

إن الرجال الذين يَزحفون على الظهور، وتنفجر من تحتهم ومن فوقهم صواعق الموت، ويستهلكون آخر ما يملكون، إنما يَفعلون ذلك بداهة لِيَحيوا هم أنفسهم، أو لتحيا ذراريهم من بعدهم في مجتمع يتحرك بروح العدالة، ويتعاون على البر والتقوى، ولا يُتصور أن يضيع في المجتمع مُقاتل جَادَ بنفسه لكيما تَسعد أمته، وفي فارغ الجو من الإيمان البعيد على الحركة وَجدنا أناساً كثرتهم أكثر من إنتاجهم، ودعواهم أكثر من حقائقهم، وشهواتهم أملك لأزمتهم، وإنك لتعجب عندما ترى أقواماً يضحكون ولا يبكون، وينطلقون إلى المقاهي والأندية لِيَسمروا ويعبثوا، ولكنّ العرب هَزمتهم أزمة الإيمان في قلوبهم، والقحط الرهيب في المثل والخلاق، لقد فتكت بهم فوضاهم الداخلية قبل أن تفتك بهم سيوف الأعداء.

إن الرجال الذين تَصلح بهم الحياة ويَطيب معهم العيش ليسوا نماذج مُعتادةً من هذا الغثاء الكثير الذي تراه العين ولا تجد فيه طائلاً، بل هم نماذج فريدة للفضائل الجليلة والخلاق النبيلة التي قلما نَظائرها، لأنها كالمعادن النفيسة لا تُوجد إلا على ندرة، وحاجة الشعوب إلى أولئك الرجال كحاجة العقل إلى المعرفة، وحاجة الجسم إلى الطاقة التي يتحرك بها، بل إن وجود أولئك الرجال بعض الخير الذي يبثه الله في الحياة ليعيد إليها توازنها إذا اختل، وبعض الأمان الذي يُسكن به النفوس القلقلة ويُرجع إليها ثقتها بالحق إذا غالب ازدحام الدنيا بالأوغاد المبطلين.

ألا تنحي احتراماً للإيثار العالي، وأنت تسمع أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: (اللهم إن قَبِلت عن عصاة أمة مُحَمَّد فداءً فاجعلني فداءً لهم) وانظر إلى طبيعة الخير المتغلغلة في هذا الإمام يدعو في سجوده قائلاً: (اللهم مَن كان من هذه الأمة على غير حق وهو يظن أنه على الحق فَرُدَّه إلى الحق ليكون من أهل الحق) دَع هذه القمة الشمّاء، ونقّل بصرك في قوم إذا رأوا الحق معك كرهوك من أجله أو كرهوه من أجلك، فإذا حملوا عليه حملاً أو نُقل إليهم نقلاً حملوه إلى تجارة خاصة، ثم حاولوا احتكار الصِّنف الذي يُريدون ليفردوا بمغانمه.

إن النهضات الإنسانية البحتة لا تَبلغ تماها إذا أشرف عليها صغار القلوب وعبيد أنفسهم ومصالحهم، ونَستطيع أن نصف أعمال هؤلاء بالاستبداد السياسي، فمع الاستبداد السياسي تضطرب موازين العدالة وتختل أعمال القضاء، وهنا نذكر طرفة تتعلق بالاستبداد السياسي، لقد ذكر أهل الحكمة والفكاهة أن

جحا جاء إلى أحد الولاة يَعرض عليه قضية تخصه، فساق شكواه على هذا النحو قائلاً: إنني لمولاي فيما أعلم ثوراً أحمر، فأجابه الوالي: صدقت يا أبا الغصن، فما شأنك، قال: نطح بقرتي البيضاء فشق بطنها، وأخرج أمعاءها وقتلها على الفور، فقال له الوالي: وما علاقة الوالي وما شأن الوالي بذلك؟ وأي سلطان لي على الحيوان؟ أتريد أن أعاقب الثور على فعلته؟ ألا تعلم أن دم الحيوان هدر؟ فقال جحا: صبراً يا سيدي وعفواً، لقد دفعتني العجلة على رواية القضية معكوسة، فإن بقرتي هي التي نطحت ثور مولاي فقتلته، فقال الوالي: ويلك لقد تغير وجه المسألة، أعد عليَّ القصة لأرى فيها رأيي مِن جديد!.

هذه القصة تُعطيك حقيقة السياسة الغربية مع العرب، وتُعلمك أنه في زمن التَّشفي يُصبح النُّباح ارتياحاً، وتَنبح الكلاب ارتياحاً، ويُصبح الجبن حكمة والشجاعة حماقة والرجولة رذيلة، ألا تستغرب أن العدوان على ذيل بَغلة القاضي كان مثار لغض سياسي في بعض المؤتمرات، أهو ذيل كسائر الذيول أم له مكانة خاصة، وهكذا يتعامل الغرب مع العرب عندما يتعلق الأمر بذنبه إسرائيل.

إن العطب عندما يتغلغل داخل النفس الإنسانية فلا يبقى حق ولا شرف ولا عدالة، فعند انطفاء أنوار الحق يظهر الملفقون والمزورون والنصابون.

معاشر السادة: التضحية والجنود الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ورجال الله على الأرض، رجال الجيش العربي السوري، قلبوا موازين الدنيا رأساً على عقب، حتى وقف مجلس الأمن في الأيام القليلة الماضية يقول: واجب علينا أن نقف إلى جانب الجيش العربي السوري، وأن نؤيد دفاعه وقتاله عن أرضه وشعبه ووطنه.

إن هذا الجيش المعطاء، إن هذا الجيش العقائدي قلب الموازين رأساً على عقب، بصموده وبتضحياته وبعطائه، وسورية لولا انتصار الجيش، وتضحيات جيشها، وتقديم الأعباء الثقال خدمة لهذا الوطن وصيانة له لضاع هذا الوطن، ولضاع الدين، ولضاعت القيم الإنسانية، وما ذاك إلا لأن الأعداء المرتزقة الذين جاؤوا من الشيشان ومن ليبيا ومن السعودية ومن الأردن ومن أوروبا، ما جاؤوا إلى هنا إلا ليذلوا من أعز الله، ويُفقروا من أغنى الله، ويَقتلوا الدين الذي كان موضعه هنا في دمشق، بلد العروبة والإسلام، فحري بنا –يا سادة– ألا نَجحد الجيش العربي السوري، وألا نزهد بتضحياته، ولا بعطاءاته، وأن نعلم أبنائنا أن هذا الجيش هو الجيش المؤمن الشريف، الذي يدافع عن الدين والقيم والأعراض، وهذا الجيش هو الجيش الذي صمد صموداً أسطورياً أذهل العالم بأسره، ألا تعجب أيها السوري عندما تَسمع عن

جيش آل سعود، هؤلاء الجنود الصعاليك، كيف يَفِرُّون تحت ضربات اليمنيين الذين ذاقوا الويل مِن نظام آل سعود، لقد دمروا اليمن، أجاعوا اليمن، أبادوا دولة عربية مسلمة، وعندما تلقوا بعض الضربات الخفيفة من اليمنيين الأشاوس المقاتلين الرجال العظماء، وجدنا وسمعنا وقرأنا ورأينا كيف يفر جنود آل سعود المرتزقة من تحت ضربات المقاتلين اليمنيين، وإذا نظرت إلى هذا الجيش العربي السوري وجدت أنهم يَستقبلون الغدر بصدورهم، يستقبلون قذائف الدمار والخراب بأجسادهم، أي عطاء، أي تضحية، أي صمود، أي شموخ يَفتخر ويعتز به هذا الجيش، ويَعتز به كل مواطن سوري شريف، وكل مواطن شريف.

نحن كسوريين نعتز بجيشنا، ونقف إلى جانبه، ونُقبل أقدامه ونقبل أحذيته، لأنه لولا هذا الجيش لما وَجدتم نوراً يُضيء، وما وَجدتم رغيفاً للخبز في الأفران، ولما أمنتم أن تناموا في بيوتكم آمنين مستقرين.

انظروا –يا سادة– إلى المناطق التي يَستولي عليها المسلحون أو المجرمون أو المرتزقة أو المارقون سَمِّهم ما شئت، وانظر إلى حال الناس كيف يعيشون بينهم، يُجوعون الناس في الغوطة الشرقية، يُجوعون الناس في دير الزور، يُجوعون الناس في قرى حمص وريفها، يُجوعون الناس في المعضمية، يُجوعون الناس هنا وهناك، أما المناطق التي يُسيطر عليها رجال الله رجال الجيش العربي السوري تَجد كرامة المواطن شامخة، تَجد المواطن يأكل لقمة طيبة، تجد المواطن يذهب ويأتي ويَسرح ويمرح لا يخاف على نفسه أحداً إلا الله جل جلاله، هكذا علمنا جيشنا –يا سادة– أنه يحمينا وأنه يدافع عنا، وأنه يزرع في نفوسنا التضحية والرجولة والعطاء والفداء، فهل بعد هذا وذاك يَحق لنا أن نتطاول على الجيش أو أن نأتي بمعياره، مَن أراد أن يتطاول على الجيش العربي السوري أو يُسيء الأدب مع جندي يقف في الحر والبرد، فَليُرِنَا ماذا قدم لوطنه؟ وماذا قدم لأهله؟ وليرنا أين هو ولده؟ البعض حزن لأننا قلنا: أين ولدك، أما تعلم أيها المواطن أيها السوري أن هذا الوطن لنا جميعاً؟ أما أنت تريد أن تهرب، وأن يهرب أولادك معك خارج الوطن، لِتَنجو مِن الموت كما تعتقدون، وهي عقيدة فاسدة، وتترك الوطن للآخرين يُدافعون عنه، أترضى ذلك؟ أين الرجولة؟ أين الكرامة؟ أين الشهامة؟ أما نحن كمواطنين أبينا إلا أن نقف لنقول كلمة الحق، وأبينا إلا أن نقف أمام رجال الله رجال الجيش العربي السوري، وأبينا إلا أن نقف إلى جانب المقاومة اللبنانية، ونعتز بصمودهم وتضحياتهم، وأن نشد على أيديهم، شاء من شاء، وأبى من أبى، فنحن منذ البداية قررنا إما أن نعيش كرماء أو نموت كرماء، ومَن ضاعت كرامته فلا خير فيه ولا في حياته.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــ٢ـــية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً لهم في السهول والجبال والوديان، اللهم إنا نسألك أن تسدد أهدافهم ورميهم، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، اللهم إنا نسألك أن تنصر المقاومة اللبنانية المتمثلة بحزب الله، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق